رصيف يصلح لقضاء الليل

سامي الغباشي



سـنابل للـنشـر والـتـوزيـع

الإشـراف العـام
د. طلعت شـاهين

مدير التحـريـر
عـلي حامـد

رصيف يصلح لقضاء الليل

المؤلف :
سامى الغباشى

الطبعة الأولى: ديسمبر ٢٠٠٤

رقم الإيداع :
٢٠٩٦٢ / ٢٠٠٤

الترقيم الدولي : .I.S.B.N
977-5634-13-X

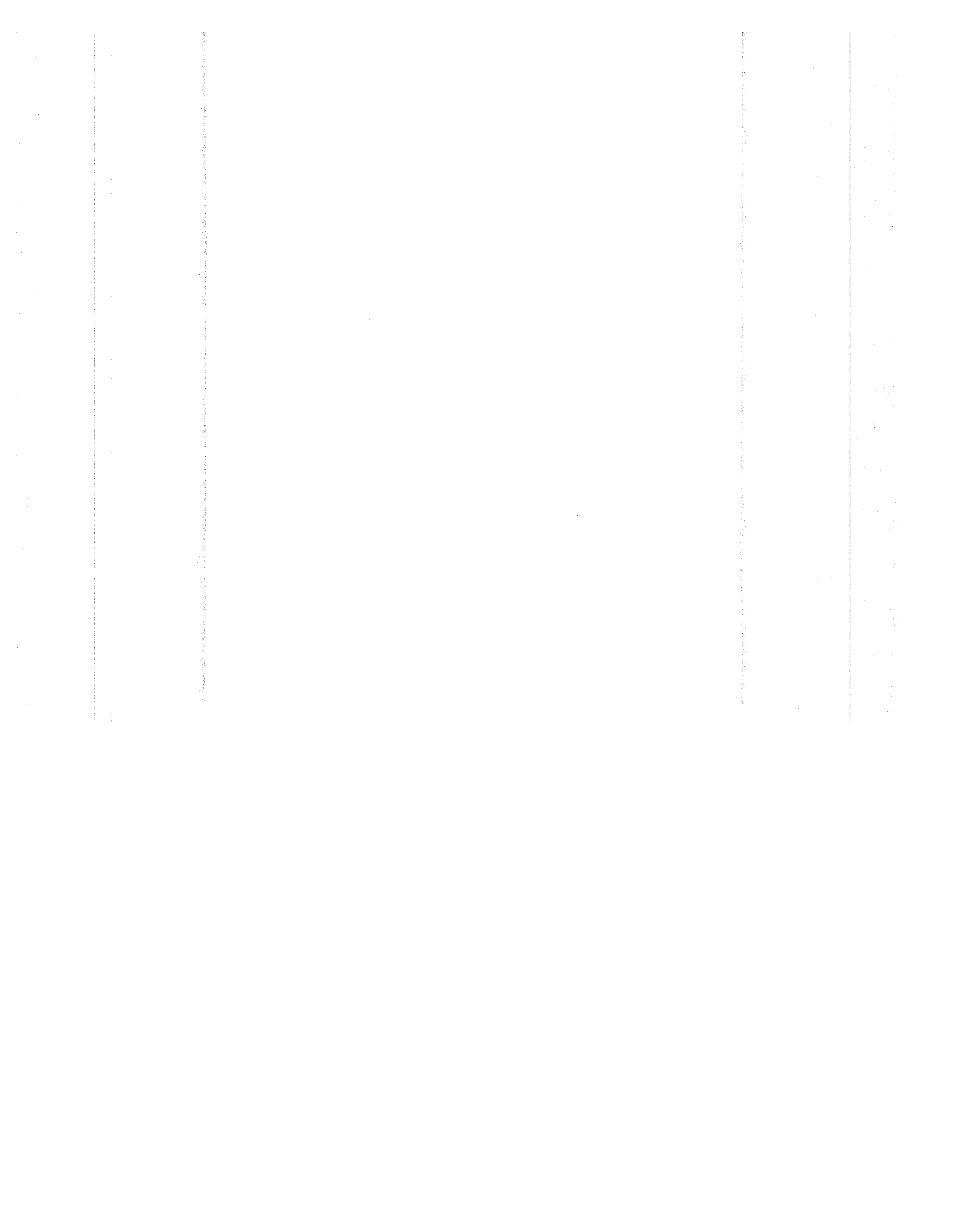
لوحة الغلاف:
الفنان/ عمر جهان

المراسلات
ص.ب.: 22
الحي المتميز
مدينة 6 أكتوبر
مصـــــــر

Tel.:
(202) 835 40 69
Mob.:
(20) 12 410 20 08

e-mail:
sanabook@maktoob.com

هناك دائماً مقهى
وامرأة تستطيل لها الأزقة
ورائحة لعابرين
...............مروا من هنا



بالتأكيد .. ليس صباحاً جميلاً

1

بلا ذاكرةٍ
يبدأ يومه .. ،
لا يفكر في شيء ..
وجهه لا يدل على صباحٍ حقيقي
خطوته تائهة في الفراغ
ذاهب إلى حيث يثقل ظله
إذا تكلَّم ..
وإذا صمت ...
وإذا هَمَّ بالمغادرة ..

2

كمُشاهد

يقتلُ الوقتَ بالوقتِ

يتجولُ بين القنوات الفضائية

وحين تعلن الموسيقى بداية الأخبار ..

يجلس بجديةٍ

لا تليق بنشرة الأخبار

ولا بلون الدماء

ولا بذلة الزعماء الأسرى

أو الأسرى الزعماء ...

3

هكذا ..
فقدتَ امرأةً
كان يمكن أن تحبك
أن ترسل الليل
في عينيك تكراراً بلا خوفٍ ،
أن تنظر إلى عينيها آخر الليل
فتنسى ما تبقى
من حزنك القديم ،

4

عندما يكون الوداع جارحاً

كمدية في ظلمة شارع شعبي

عندما ..

تمنح ما يسد صقيعك لامرأة

لا تؤمن بقلبك

وتتركك عند أول باصٍ..

غارقاً في ظلمة الوحدة

عندما ..

تصبح كفك رَحِماً لكفها

ثلاثين مساءً كل شهر

.. .. ولا تؤمن

فأنتَ في غير أرضكَ فارتحل

الميدان مرة أخري*

1

فجأة ..

أضاءت الهواتف المحمولة

وازدحم البريد الإلكتروني بالنداء :

سنحرر هذا المساء

(من قانون الطوارئ)

---

* مظاهرة الاحتجاج على غزو العراق بميدان التحرير.

2

أبتسمُ حتى العاشرة مساءً
لمحبَّين التقيا بعد خصام
في زحمة هذا الميدان ......
وضعتْ يدها في يده دون عتاب ،
هتفا حتى (بُحّ) الصوت
واتجها صوب محاريب الروح .

3

ولدٌ يتخلل زحمة هذا الميدان
وينادي (بخفيض الصوت)
: شاي ...... بسكويت
هذا الولد الطيب
يستثمر طيلة هذا اليوم " مظاهرةً "
ليعوِّض بعضَ خساراته .

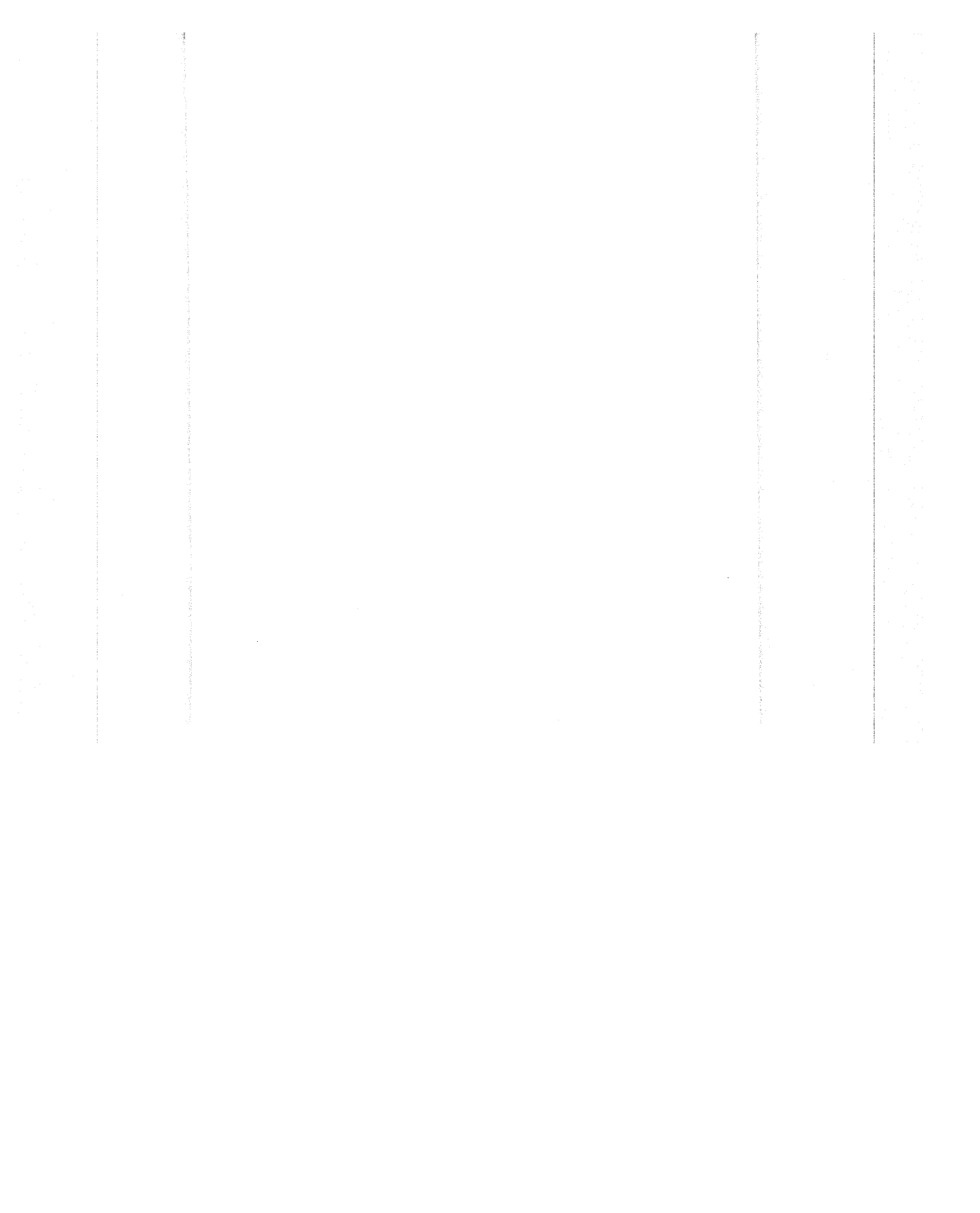
4

رغم الطقس السيئ
خرجتْ لتضيف امرأة / صوتاً
ولتدعم بالصوف مُحِباً يقف على قدميه
منذ العاشرة صباحاً
وإذا احتدم الأمر ..
كانت تركض باحثة عنه
بين عِصِيّ الأمن
وعربات الإسعاف

5

حين انسلّ بلحيته
كي يستنزل لعنات الرب
على كل خصوم الدول العربية
طالَبَ أن تبتعد فتاةٌ
تهتف ضد القتلة
و اشترط أن يطفئ رجلٌ سيجارته
كي ينصرنا الله !

مارس 2003



لم تَعُدْ وجوهنا بريئة في المرايا
لذا علينا أن نتكلم كثيراً
عن الاشتهاء المباغت
والنظرة التي تعرف طريقها جيداً
إلى انتصابات داهسةٍ
لا نجد لها حلاًّ
سوى أن أدخل إليك
و تخرجين بعد صرخةٍ مني .....

حينها ..
لن ننظر في المرايا
و لن نبحث في وجوهنا
عن سذاجة فقدناها ...
فقط ...
سنبدد المساءات على طاولات المقاهي
لنهيئ الليلَ مرةً أخرى ...
ونصبح (كالسائرين نياماً)
متجهين إلى لحظة محددة
وفراشٍ يفتح ظامئةً لمهتاج

وبعدها ...

تذهبين بعينيك

إلى أبعد من جسدي ...،

و تقولين : أنتَ قرأتَ خرائط الأنثى

وعرفتَ أن القاع مرهون بوشوشة

تملك الأذنين ...

ياااااااااااااااااااااااااه

كم أحبهما مدهوستين بكلماتك ..

كأن إصغائي انتصاب لأذنيَّ

وكأن انتصابهما داخل إلى فمك

ليلم اشتهاءك

قبل أن يُبرّده الهـــواء ...،

لذا أحتاج بعد كل فراش
إلى مساءات كثيرة
أمتلىء بكلماتك في المقهى
و ألملم جسدي من عينيك اللاهثتين
العابثتين – بأنحاء مؤلمة – في جسدي .. ،
فاعذرني إن باعدتُك بالمقهى ..
وزرعتُ عيون المارة عامدةً
قضباناً بين الجسدين ..

لأراني عاريةً في عينيكَ ...،
فذلك هيأني مُذ شهرين
لأنفتح كفوهةٍ
وأقول : أحبكَ يا رجلاً
فاحت منه رائحة الشبق
فقلتُ : ادخلني ...،
و فاحت مني رائحة الحرمان
فلم تستأذن يُمناه
و عابثةً..
دخلت تحت الثوب ...،

صارت كالإزميل ،
يخربش في الجسد الأملس ،
فأذوب كراقصةٍ في الشارع ،
أغمض عينيَّ ..،
أمشي ..
ناعمة خطواتي
لاهثة فوق الأسفلت خطاك .

هـواجـس

الناس طيبون جداً ... ياشريرة

هكذا

قال الولد الطيب في المقهى

للبنت الغاضبة من أمها " السباحة القديمة "

لأنها تحذرها دائماً

من الصداقات المشبوهة

والأولاد الطائشين ...،..

لم تصدقه البنت هذه المرة ...،

وظلت وراء هواجسها

التي – وحدي – أعرف أنها لم تحدث ،

فصديقتها ..

(التي تعلق خنجراً ذهبياً على صدرها)

لم تفسد العلاقة

بينها و بين زوجها السِّريِّ..،

لم تقابله سرّاً

لم تَتَعرّ أمامهُ ...

لم تَسَلْهُ : أجسدي أم جسدها أحلى ...،

لمَ تقل له
قاتلٌ خُروجَك منّي
دخولكَ إليَّ ..
وجودكَ فيَّ
(لم تَعْلهُ كفارسةٍ ..
لم يَعْلُها كالثور)
لم يحدث أقسم .....

والصحفي العجوز
الذي قابلها صدفة في المصعد ..
لم يُقبّلها ..،
لم يَحْكِ لها عن شقته الجديدة
لم يَسْتَعِنْ بها لاختيار لون الطلاء .
لم .. ..
وأعطاها صفحة في جريدته الفنية ..،

إذن ..
الناس طيبون جداً ..
كما قال الولد الطيب
وصديقتها – أيضاً – بريئة .،

صباحكِ آتٍ
من قَبل (القَبْل) ..
إلى بَعْد (البَعد) ...،
إلى أين ؟؟ ``
تقاطعني أصداؤكِ ...،
رفرفة القدمين بأنحاء الغرفة ،
أشياؤك ...،
ملمسكِ الأول ...،
غيبتنا في رائحة الشبق الطازج
نظرتكِ السكرى نحو الساعة ...،

كم غبنا في جسدينا ؟

هل دُهس الخارج بالظلمة ؟

هل نهدأ بعض الوقت

لكي نقتفي الروحين إلى الملكوت الأرحب ..،

أسئلة ضاحكة في عينيكِ

و في عينيَّ

هنالك جغرافيا تتخلق من أعضائكِ ..،

تاريخ باخوسي ينتصب الآن ..،

يزلزلنا ..

يأمرنا أن نصنع من طمي العري قيامة ..،..

إلى أين استدرجت الروح ؟

إلى أين ؟

أيا تلك الورقة

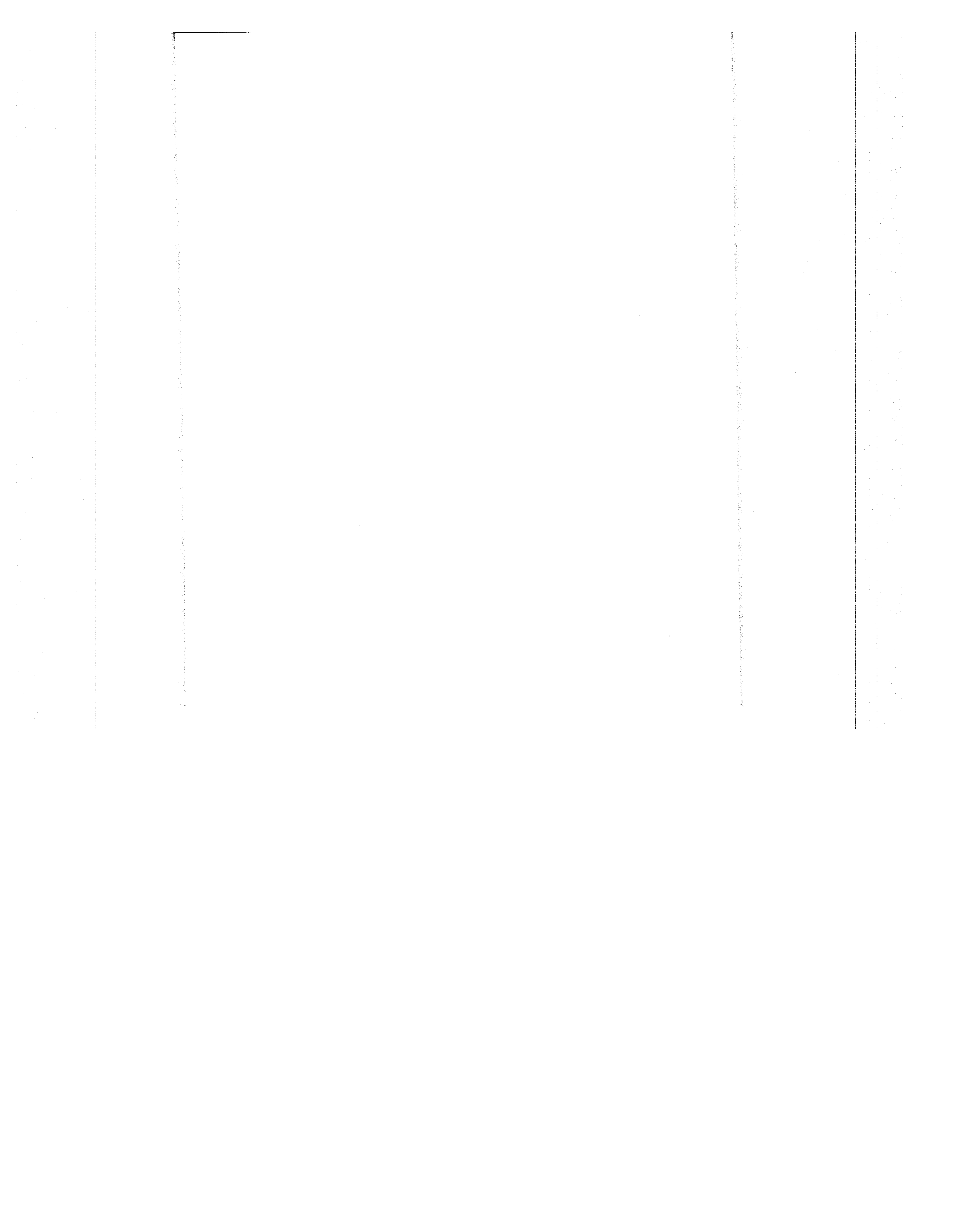
يا كلمات ..،..

كنتُ أقول لبنتٍ عيناها ناعستان :
صباحكِ آتٍ من صخب التفاحة
في يوم عاصف ...،
ناجٍ من لفحات الشمس
و متبوعا بالزقزقة الفرحى ...،...

(يا الأنثى) ...،
كم يلزمك الآن من الوقت الصوفي
لكي أتجرد مراتٍ أخرى
معتذراً عن كل حماقاتي
لأعود شفيفاً في عينيك
نقتسم الوقت ...،
و طعم الشاي ...،

و نحكي عن رهبتنا الأولى ..
ندخل ظلمتنا ..،
نتعرى ..
: ناعمة أنتِ ..،
: بل أنتَ جموحٌ
: صوتكِ عالٍ يا بنت ،
وشبابيك الغرفة مُثقلة بالآذان
..،..،..،..،..
ياااااااااااااااااااااااااه
أصداؤك قاسية جداً
قاسية ..

لمّي ذكراكِ ..
أو حلِّي في أرصفتي
فالوقت ثقيل ..،
والذكري شاسعة
وغيابكِ قاسٍ جداً
قاس .. .. ..
أقسى من أم .
هربت من غائلة الموت ،
تاركة في وجه الطوفان
.. .. وليدْ



لأنها لا تشبه الأخريات

كان عليك
أن تدرك منذ البداية
أنكما مهيئان لفراق تراجيدي
يحمل بعده كل منكما
ذكرياته و يمضي ..
تاركاً في أذنها : تشبهين الأخريات
و تاركة في أذنك : عائشاً في الوهم أنتَ

كان عليك ..

حين رأيتها ترسم محبوبها بجناحين

ووجه وسيم ..

أن تدرك أنها

قد تشتهي الرصيف مرة

قد تغامر بالجوع يوماً

لكنها ..

بعد خطوتين من طريقكما السري

ستصرخ في وجهك

دون سبب مقنع

و ستسرق من وقتكما الشبقي
(المسروق من الأب و الأم والتعاليم والآخرين)
لتحكي لك عن أبويها
و مصروفها اليومي .....
كان عليكَ
أن تدرك رومانسيتها المفرطة
عندما نبهتكَ غاضبة
إلى أنك تزيل طعم قبلاتها
و أنت تشرب (المانجو) وحيداً
بعد لقائكما الجسدي المتكرر

كان عليك أن تدرك منذ البداية
أن اختلافكما
هو فراقكما المؤجل ...،
و أنها عكس ما قلتَ :
لا تشبه الأخريات .. ، .. ،
لكنك تماما كما قالت :
.. .. .. عائشاً في الوهم .

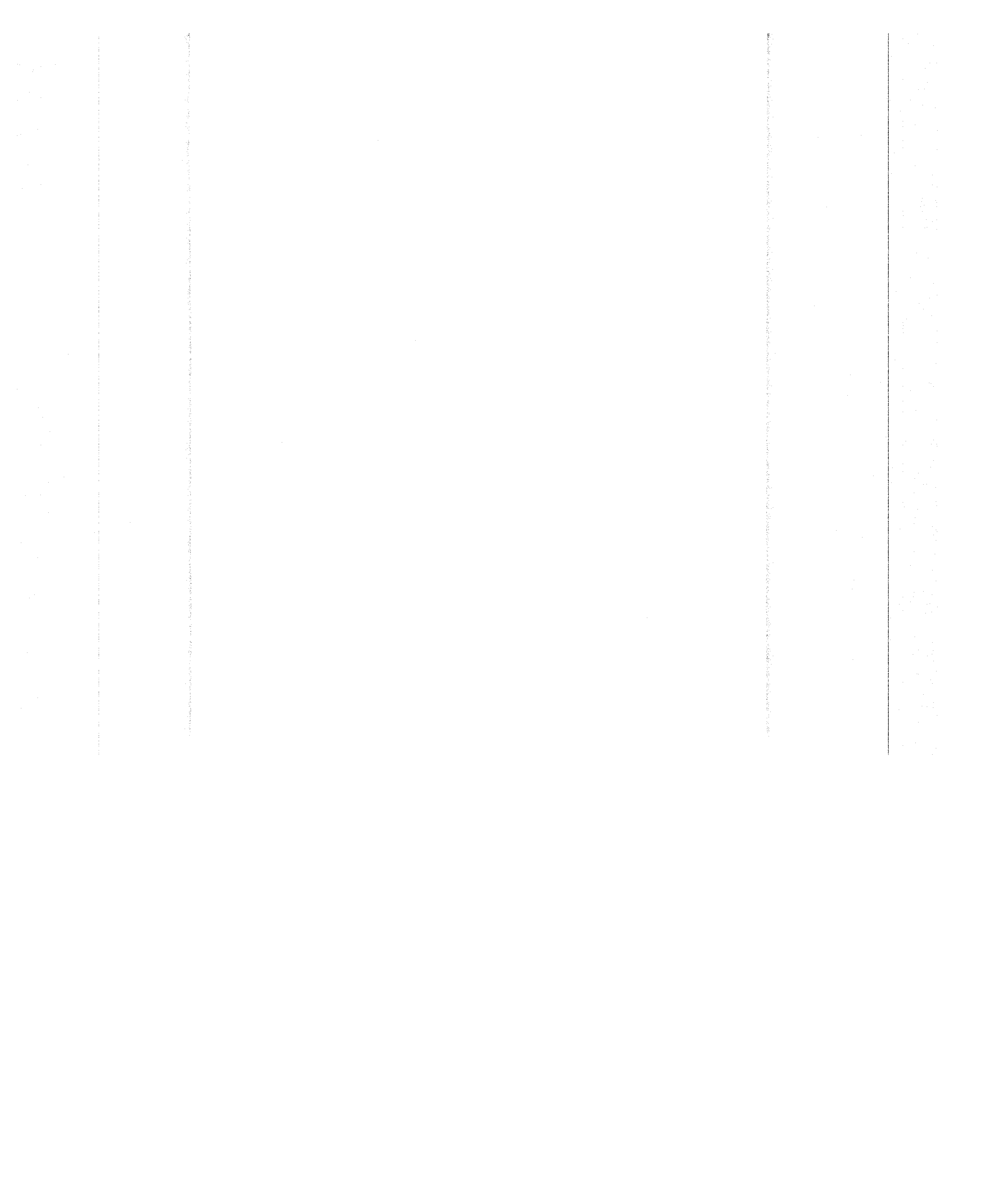
تتباطأ في الليل ..
رهبتها ليست من عتمة هذا الشارع ...،
ليست من خطواتي
الأبطأ من خطوتها خطوة ...،
رهبتها من شيء يسعى في ظلمتها
رهبتها تفرز رائحةً تعبث في جسدي
كأصابع أعمى
تتحسس وجه عزيز عادَ ...،

كيف التفَّ الشارع..، ..
كيف تلعثمتُ قليلاً ..
و نظرتُ إلى الساعة حين تقابلنا
عند رصيف يصلح لقضاء الليل ..
كيف تخففنا من رهبتنا
حين انطفأ المصباح الأوحد في الشارع
و اشتعلت أعمدة الرغبة فينا ..،
بل كيف استسلم كلٌّ منا للآخر .
لأغيب بشوق في ظلمتها
و تغيب سويعاتٍ في ظلماتي

كان هنالك
بين الظلمة و اللبد السريّ يزقزق
كان يؤرخ للاسم السادس
في اللغة الخجلى ..،
ويسمي الأعضاء (كما ينطقها الشعبيون)
بحرفين بليغين
لكي يرجع حرف الكاف إليه ..،

كان يفلسف زلزلة البعث
و يعجب من عشاق ثرثارين
تباروا بالكلمات كثيراً
لكن لم يقتربوا من حدَّيه..
كان هنالك طلسم أوحدْ ..
حار ''الطغرائيون'' سنيناً
بحثاً عن لقب عربيد
ينقش كالوشم عليه

كأن فتوحات الصوفيين المجهولين
ارتسمت بالدم على شفتيه
أو أن الفانين جميعاً
سيموتون وفي أنفسهم شيء
من أشياءٍ أخفاها الله لديه



بيتنا الذي في المزارع

1

هل أحبكَ حقاً

و هل حين باعدتني الخطى

.. .. تذكرتني

2

لبابك الخشبي
رائحة التآكل
ولأهلك امتداد في الأساطير
فلا أنثى تجيء في أول الحرث
إلا وغابت أو غيبت
فكأنها نبوءة عراف تدور في أنحائك :
من (بكّر) بأنثى أخذناها
و تركنا في عين أمها دمعة
و في قلب أبيها فداحة الفقدان

3

أيها البيت
المزدحم برائحة "الخوص"
ورائحة الجد اللاهج بالأذكار
الحافظ للقرآن
المفتون بكتب الجان الصفراء
قل لي :
أهنالك عقد أُبرم في ظلماتك؟
أهنالك وعد
يُلزم كلَّ الأبناء
بتقديم القربان؟



حتى يراهم

أبانا الذي ضيّق الجغرافيا
وسمى كل امرأة ليست من أهله (ذئباً)
وقال : البيت إن (وحّد) ائتلف الصغار
فصار كلما أشرق من شُباكه أفق توعّد
أو زاحمت أبناءه شساعة (الدنيا) استغاث
وأهلك الحرث
كي يجاور في ظلال الرب مبتهلاً
أن يجعل الأبناء أسرى مشيئته
و الأرض ضيقة ككف حي يراهم



يجيدون الصمت في المجالس
هذا ما يمنحهم رهبة أينما حلوا
فهم نجوم المجالس ..
ضيوف الكبار
قباطنة (الرأي)
الثرثارون إذا (أمُروا) ....،

يجيدون الصمت ..،
يصوِّبون عيونهم إلى البعيد البعيد
وآذانهم / ثعابين الشقوق
تلقف مهموس الكلام
تلحس الأبجدية من فوق الطاولات ..،
يدٌ أطلقتهم مرة أخرى
لينبشوا أدمغة الصغار / المحبين..
رغم أنهم طيبون جداً

وليس في أدمغتهم
سوى بيت مجازي
و امرأة ليست كالأخريات
و طفل كالعصافير ..
يمنح البيت خفةً ..،..،
يد أطلقتهم مرة أخرى
رغم أن الصغار
المشاغبين طيلة الوقت
طيبون جداً

ولا يُخفون في حقائبهم
سوى قصائد
لا يقرؤها أحدٌ
لا تؤذي أحداً
لا تطلب شيئاً من أحدٍ
فمن أطلق الصامتين
ثعابين المجالس
..............مرة أخرى؟

نيـڤين(*)

أعلم أن الذاكرة امتدت ..

من آخر عشقٍ عمَّدهُ " قاسيون "(**)

إلى آخر صيف في " رأس البر"

فهل أتبعها الترحال ..،

أم انفتحت لتهيئ للبنت صبَاك

اللاهث في شارع "77"

نيـڤين..

تلك البنت اللاهثة العطشى ..

تعتاد ملامسة الأعضاء ..،

و تمتد بنهديها حتى آخر ذاكرتي

(*) نشر القسم الأول من هذه القصيدة عام 1995.

(*) (قاسيون) جبل في دمشق.

أذكرها ..

حين استلقت فوق الرمل ...،

وحطت

رغبتها

في

عينيَّ ،

فحدقتُ ...،

وأضعت الوقت أُحدّق ...،

وأحاول أن أقرأ ..

أن أجتاز الدهشة ..

والبنت الحلوة ..

تخرج جامحة :
من بين مغابنها ..
من تحت السُّرة ..
من يحمومٍ جُنَّ ..
وعاث فساداً في زغب الأعضاء
فمادتْ
و تماديتُ ،

وأعلم أن البنت أُبيحت للرهبان ..
اعترفتْ ..
فتبادلها (الليليون)
وأرجأها الشيخ ليستنطق آيات الجَلْد ..
وأعتقها الولد القروي ..
فظلت في دائرة الجسدين تدور
وظل يُعارك في الحلم صباه ...
...، ...، ...

شبقياً كان الولد القروي

و لكن البنت اسْتبقتْ رغوتها حتى فاض :

فألقته

بفيحاء الرب

فضلّ ..

و أُعلن أن غيابكِ قاسٍ جداً يا"نيفين "

و سيعلم في يوم آتٍ

جيرانكِ ...، أهلكِ ...، راهبكِ الأوحد ..

أنكِ مَن أعني ..

سيقولون :

- خيالٌ

- ولدٌ قامرَ بصباه ..

- تشابُه أسماء ..

أو ما شابه ذلك من أقوال

تكفل لذويكِ بشاشتهم

في الشارع ..

أو في المقهى..

أو حين تباغتهم أسئلة الصبيان ..

و أقسم أني لم أقصد ذلك

حين كتبتكِ ظامئة ..
ترغب ..
و تراوغ ...،...
و تحطّ الرغبة في عيني ..
أو حين كتبتكِ عاشقة ..
تتعامد في أيام الآحاد عليّ..
نيفين تقول : سألحق بالدير
فعُدْ لغيابكَ فيهنّ ودعني ..

نيفين تقول : سترحل عائلتي في العام القادم ..

نيفين تحدق في الدمع / اللاشيء

و تُغرق عيني " بزخاتٍ من مطر حمضي"

آتٍ من ظلمتها ..

نيفين تقول : تَخفف من أثقالكَ

.. .. واتبعني

لا تُبصر إلا أعضاءكَ
و العالم مزدحم بسواكَ ..
هل كنت شقياً
حين كتبت البنت :
- فضاء شبقياً ..،
- جسداً أوحد ..،
- وتراً مشدوداً بين فضاءين
- يدندن منفرداً خارج قداس الروح .

هل كنت شقياً ..؟
أم أن الأخيلة ازدحمت
بمجازات تَخرج من جسد الوقت
فتنفلتان إلى وقت كهنوتي
تخرج من أثقالك فيه ..
وتنتظر البنت
فتثاقل في ظلمتها
كي تبرأ من صخب الأعضاء
وتخرج طائعة من أقصى الوقت ..

وترسم ظلاً ..
وشماً في عينيك يكون ..
ويصبح طيفاً أفقياً يتراقص ..
ينزل محمولاً بين ملاكين
ويدخل في طيف رأسي ..
يتعامد محفوفاً بملائكة تترنم ..
تنشد للواقف في الوقت ..
المنسيّ الحاضر في عين الرب ..
المهموم بطينته الأولى
.. ..

هي ذي
تعتصم الآن بأبيضها ..
و تُسيّج و قفتك الخجلى بدخان أبيض
و حمَامات بيض ..
فتشعر أنك مشدوداً لِلأبيض ..
منذوراً للأبيض ..
فتمد يديكَ إلى البنت ..
فتهمس : إنكَ في حضرة ذاتك
فتهيأ أكثر ..

فتهيأتَ ..

تعريتَ ..

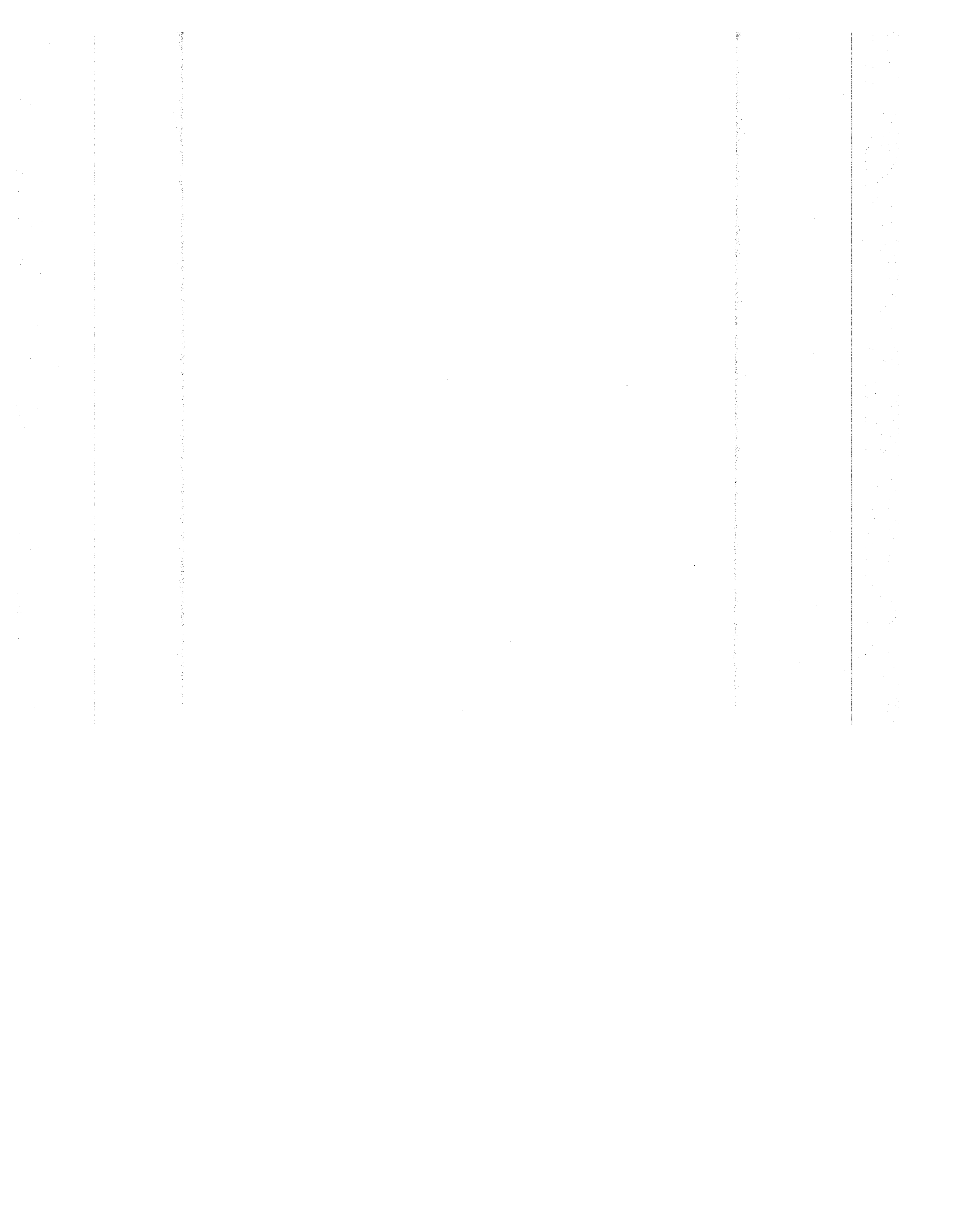
وأنثاك بصمت تتعرى

تصبح أكثر من عذراء تتباطأ ..

تدخل في وقت أسطوريٍّ ...

تصرخ في واديكَ : تجلّيتَ

.. .. فأكملت صفاتي .



الفهرس

للشـــاعـــر

1- فوق ذاكرة الرصيف 1991(طبعة محدودة)

2- فضاء لها ومسافة لي 1995(طبعة محدودة)

3- هزيمة الشوارع 1998(إصدارات تكــوين 2000)

* أعيـد نشـره مـرة أخـــرى بإضافـة بعض القصـــائـد بعنوان (وتسميهم أصدقاء) 2002 ، 2003(هيئة الكتاب)

4- رصيف يصلح لقضاء الليل (دار سنابل 2005)

من إصدارات

دار سنابل

- **ذكريات عن عاهراتى الحزينات**
  رواية
  جابرييل جارثيا ماركيز
  ترجمة: د.طلعت شاهين
- **أن تعيش لتحكي**
  السيرة الذاتية
  جابرييل جارثيا ماركيز
  ترجمة: د.طلعت شاهين
- **ليالى القصف السعيدة**
  نصوص وقصص
  محسن الرملي
- **ليلة شهر زاد الأخيرة**
  شعر
  مقداد رحيم
- **جماليات الرفض**
  في مسرح أمريكا اللاتينية
  دراسة
  د.طلعت شاهين
- **حكاية أيرنديرا البريئة**
  جابر ييل جارثيا ماركيز
  ترجمة: د.طلعت شاهين
- **طلسمات مصرية**
  محمد حسين يونس
- **نضارة شمس**
  شعر
  عطية حسن

